محمد علي شمس الدين

انثى الرماد

انذا الان ، وحيدا ، كسرير في البرية ، اعول منذ مساء خاسر
... افتح نافذة في القلب، .. واودعها قمر النسيان
انذا الآن ، وحيدا ، اخبط فوق الثلج بذاكرة عمياء
غامضة هذي الاسرار
وغامضة صرخات النسر المظلوم
غامضة خطوات الريح وغامضة كلماتي ..
انذا الآن ، وحيدا ، كضريح مهجور دون بكاء
من يجرحني في هذا القفر الشاسع ؟
من يرفع من دمعته قربانا لعطاش الطير وسائمة المنفى
ويغني للقمـر الضائع :
« قمر النسيان متى سرقوك ؟
قتلوني قبل طلوع الفجر اخي فهل قتلوك ؟» .

***

يأتي من جهة البحر ومن جهة الصحراء
عصفور بجناحين سماويين واشرطة زرقاء
اعمى : هذا الطائر يحمل سارية دون رياح
اعمى : هذا السرداب الموصل للاشباح
اعمى : هذا البحار يشرشر فوق الرمل قواربه
ويهرّب فيها اوجاعا للمستقبل .

***

مأسورك يا شاحبة كالثلج وغامضة كالنسيان
مأسورك يا وردة عين الفقراء ووردة احزاني
من يجرحنـي ؟
منتظرا ، كسرير في البرية ، وقع خطاك على الاعشاب منتظـرا
وتحدثني الزرقاء بانك لن تأتـي
وبأن امير الليـل تأخر عندك ذات مساء
فخلعت حذاءك وانكشفت قدماك على الصحراء
وبأنـك حين هممت
جننت انا البدوي اليك خليعا على كتفيّ سنام ابـي
وحرارة ما خزنته الاشجار المدفونة في القيعـان
وما شربته من الشمس الكثبـان
اشقشق نحوك يا ناقة احزاني .

وحملت على كتفي ساقي: انا كرة في الريح وانت سماء اللحم الشفاف
امتدي واشتعلي انطفئي لا تنطفئي كوني حمراء دما
خبزا افيون سكارى اوعشاقا منتحرين بلا سبب نامي
ستعود الى الطير الاوكار
مـن يؤوينـي ؟
انذا الآن كثور السهل تهيجني الابعاد
مدي فخذيك على الخلبات فقد بدأت موسيقى الرقص تناديـني
مدي فخذيك على زمنـي
لن يخدعني جمل الثوار ولن تهرب من قدمي فرس الاحلام
مدي فخذيك من الاوراس الى قيعان دمي
لن يؤنسني وحش او جندي بنياشين حروب وهميه
مأسورك يا وردة عين الفقراء ووردة احزاني
من تحت لحاء الشجر الغافي
من حزمة ضوء شتويـه
من تحت الاغصان المشبوكة في الادغال
من تحت الصمت الداكن في قمر اسود
من تحت قرنفلة في مدرسة الازهار
اعلنت احبك فاعترفـي
لن ادفن قتلاي ولن اغمس في نهر عطشي
سأطوف شوارع لا اعرفها كقطار مسحور
واولول في الساحات : ق .. ت .. ي .. ل
انفث في الساحات : ق .. ت .. ي .. ل ..
ساراقص كل نساء الارض واهمس : مطعون في سنتـي الاولـى :
تلبس افكارا وغيوما سوداء ، تلبس احلامـي
وتراوغني ، تلبس مريولتها وتخون .
اعمى هذا العصفور ومحترق ابدا
آخذ حبل المطـر المغزول
ارسم في كفي مشنقتي ، واموت
من يجرحنـي ؟
في جلجلة الرعد الصافي
اتنكب صوتا بين الوديان واطلق انهارا في الانهار
اقول سقوطك مرتقب في جسـدي
ونعاسك فوق تويج الوردة فوق الصدر وتحت الابطين

هنا مرتقب في جسدي
هل يتلامس فخذانا في الرمل ؟ اعترفي :
الملح لذيذ ودوار البحر لذيذ
ومحارة هذا البحر الدافيء دافئة
والموج تأخر في صف العشق وتوجني .
خاسرة اسماك يديك بلا مائي
ها نحن مرايا في وسط الزرقة مدفونين الى الاذقان
ومتكئيـن على مـاء مهدوم
ها نحن نغوص على القبل السوداء
ها نحن نموت معاً فيظلمتناكصفاء محيط فيوحدته
كمعلقة في البحر كأمواج عمياء .
يتراءى لي ان رياح الثورة تنفخ في كير بارد
ان غزالا في الليـل الدامي
يحمل لي حزنا في كأس بارد
ارفع قبعتي للحزن السيد ارفع قبعتي
واصوب نحو الشرق صراخا يسبقه نمر الادغال
اصوب نحو القلب فيسبقني تعبي
غضي جفنيك لآخذ شكل غريق
غضي جفنيك لاستلقي
غضي جفنيك لارطم قاع البئر واستلقي
يتراءى في عدسات الثوار خيوط متشابكة حمراء
يتراءى سرب حمام ، او سرب دخان
يتراءى بدو مغتبطـون
يتراءى ارقام للوقت واخرى للنسيان
يتراءى هذا الابد الشاسع من لحم يديك يطوقني
غضي جفنيك لاستلقـي
كثر الموتى (من يدفن موتاه؟) تضاعف سعر الحفارين،
سأحفر اجمل قبرين بكفي لاجمل عصفورين انا احفر هذا
المجرى واسير به نحـو الهذيـان
غضي جفنيـك
تمر بيارقنـا المرخاة كلحم شائخ
نصغي لخرير دمـاء بشريه
نصغي لانين في قبو معتم
نصغي لبكاء في ردهات خلفيه
يا جوقة اطفال الوطن العربي احبك حتى اخرز نزاناتي
يا جوقة اطفال الوطن العربي ابتدئي
نتكاثر ام نتناثر في هذا الربع الخالي ؟
نقتل من ؟ تعبت كلماتي
سأعمق هذا المجرى المفضي للنسيان ، واوله :
يأتي من جهة البحر ومن جهة الصحراء
طفل بدم ابيض ، بقنابل ضوء فوسفورية
بحمام او بطباشير
ويدون في اللاشيء هواجسه : لا شيء .

آن الوقت لالفظ صباعقتي ، من يفهمني ؟
ثمة اصوات لا تدخل في الاذنين
ثمة اصوات ستظل معلقة بين الاسنان
ثمة اصوات تخرج من دائرة الاصوات
آن اوان الجمل الاخرى : جئنا ، احببتك . .
يصدف ان امشي فوق شوارع بيضاء بذاكرة بيضاء
وحدي. لا اتكلم لا احلم لا اضحك لا ابكي لا اتنفس
لا اغضب . . . لا . . . .
يصدف ان اسقط كالورقة .
اذكر : في عاصمتي ، فوق الاسفلت العاري
تحت الاعلان لفيلم عربي بالالوان :
قتلونـي
اذكر سالت من قدمي الاشعار
سالت كلحـاء الاشجار
نذكر كان الوقت مساء
وغمامة صيف تركض في ثوب ناري تحت سماء نارية
اشعلت لفافة تبغ من تعبي
وجلست ادخن في ركن معزول
واحبك مبتدئا واخيرا
احطب نارا اسكنها ، وطنا ، نارا اسكنها
واقول هنا بيتي فالشهداء احتلوا كل منازلنا :
اهلا برفاقي في الصف هلا
جئتم في وقت حنيني ، جئتم في موعدكم
لي وقت للحزن يوافينـي
جلسوا شربوا كأسين وماتوا :
في صحة نصف الوطن المقتول .
من مثلي يرفل بالشهداء ؟
مدي فخذيك على زمنـي
أشعر ان طيور شتاء غاصت في جهة ما
قبل صياح الديك توافيني :
اجنحة واباريق
اجنحة وخلايا سريـة
اجنحة ومناشير تحرض للعصيان
اجنحـة ونسـاء
اجنحة واحبك مبتدئا واخيرا . .
اشعر ان الشمس تخبيء لي خللا في وقت مجيء الليل
ان الالوان انقسمت في صفحتها ضدين
فالليلـة الف
والشمس تخبيء سيفا تحت عباءتها
نامي يا وردة عين الفقراء ووردة احزاني
غضي جفنيك لآخذ شكل غريق
ازف الوقت ليجلدنا سوط واحد
في جلجلة الرعد الصافي